Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS)
ISSN (E): 2305-9249 ISSN (P): 2305-9494
Publisher: Centre of Excellence for Scientific & Research Journalism, COES&RJ LLC
Online Publication Date: 1st October 2020
Online Issue: Volume 9, Number 4, October 2020
https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.4.1575.1589



Almighty saying: (We offered the Trust " al'amana" …)
an analytical study and faith indications

Dr. Marwa Mahmoud Kharma
Associate Professor in creed
United Arab Emirates University (UAEU), Al-Ain, U.A.E.
E-mail: marwaomarsemobas@uaeu.ac.ae
Dr. Omar Arafat
Assistant Professor
Islamic University of Minnesota, USA
E-mail:dromararafat@gmail.com

Abstract:
This research deals with the study of a noble verse that raises questions about its understanding; As it relates to offer the Trust "al'amana" to God's creation, accepting it from some and not accepting it from others. The study aims to clarify the meaning of the offer, the trust and the bear it and the research has been divided into two topics: The first: the analytical study of the noble verse, and it contains four demands: The first: what the offer is, how it is, and its time. The second: What is Trust and what it means to carry the heavens, the earth, the mountains, and the human being to it. And the third: the meaning of declined to bear it and feared it from the heavens, the earth, and the mountains. And the fourth: the meaning of the fact that a person is unjust and ignorant, then came the second topic to explain: The faith indications of the noble verse: It includes three demands: The first: the manifestations of divine power and mercy in this verse. The second: the explanation of holding a person accountable for his burden of trust. And the third: the honor of slavery and the benefits of carrying trust to the human being. Then a conclusion with the most prominent results, including: that the offer to the heavens and the earth and the mountains was not an obligatory proposition, but rather an offer of choice, so they declined to bear

it uunderestimating themselves and not arrogance to obedience, and that honesty is everything that is entrusted to him, in terms of orders and prohibitions and matters of religion and the world, and the entire Sharia is trust, and human has taken it as an honor for him, and God has promised to help him in carrying it, and that slavery is a great honor for the servant, so carrying us to trust was to complete our existence, raise our status, and achieve our happiness in this world and the hereafter.

Keywords:
offer, honesty/ trust "al'amana", oppression, unjust, ignorant, slavery
Citation:
Kharma, Marwa Mahmoud; Arafat; Omar (2020); Almighty saying: (We offered the Trust" al'amana" ...) an analytical study and faith indication; Journal of Social Sciences (COES&RJ-JSS), Vol.9, No.4, pp:1575-1589;
https://doi.org/10.25255/jss.2020.9.4.1575.1589.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة ...) دراسة تحليلية ودلالات إيمانية

الباحث الرئيس: د.مروه محمود خرمه
أستاذ مشارك/ قسم الشريعة والدراسات الإسلامية/ كلية القانون/ جامعة الإمارات العربية المتحدة
الباحث المشارك: د.عمر عرفات/ أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية بمنيسوتا/ أمريكا

الملخص

تناول هذا البحث دراسة آية كريمة تثير التساؤلات حول فهمها؛ إذ هي تتعلق بعرض الأمانة على خلق الله وقبولها من البعض وعدم قبولها من البعض الآخر، وتهدف الدراسة إلى بيان معنى العرض والأمانة والحمل لها، وقد قسمت البحث إلى مبحثين: الأول: الدراسة التحليلية للآية الكريمة، وفيه أربعة مطالب: الأول: ماهية العرض وكيفيته ووقته، والثاني: ماهية الأمانة ومعنى حمل السماوات والأرض والجبال والإنسان لها. والثالث: معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال. والرابع: معنى كون الإنسان ظلوماً جهولاً في الآية. ثم جاء المبحث الثاني لبيان: الدلالات الإيمانية للآية الكريمة: وفيه ثلاثة مطالب: الأول: مظاهر القدرة والرحمة الإلهيتين في هذه الآية الكرية، والثاني: تعليل محاسبة الإنسان على حمله للأمانة، والثالث: شرف العبودية وفوائد حمل الأمانة للإنسان. ثم خاتمة فيها أبرز النتائج، ومنها: أن العرض على السماوات والأرض والجبال لم يكن عرض وجوب بل عرض اختيار لذا أبين حمل الأمانة استصغارا لأنفسهم لا استكبارا على الطاعة، وأن الأمانة هي كل ما يُؤتَمن عليه, من أمر ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا, والشرع كله أمانة، وأن الإنسان حملها تشريفا له وقد وعده الله بعونه على حملها، وأن العبودية شرف عظيم للعبد، فحمْلُنا للأمانة كان لتكميل وجودنا ورفع مكانتنا وتحقيق سعادتنا في الدنيا والآخرة.

الكلمات المفتاحية: عرض، الأمانة، ظلوم، جهول، العبودية.

المقدمة:

الحمد لله ,والصلاة والسلام عل رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين, وبعد:
فقد أكرمنا الله عز وجل بالقرآن الكريم, وفصّل فيه الهدى, وأوضح سبيل الحق, وسبل الضلال, وصرح فيه بوظيفة البشر التي خلقوا لأدائها؛ وهي التحقق بالعبودية لله تعالى, وبيّن الجزاء العظيم لمن أطاع, والعقاب الشديد لمن أبى وعصى.

وكان من ضمن ما بينه القرآن الكريم أن الإنسان قد حُمِّل أمانةً أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها, وأشفقن منها, وذلك في قوله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلماً جهولاً) الأحزاب: 72. وتدور في أذهان الناس أسئلة حول هذه الآية الكريمة, فما هي الأمانة المعروضة؟ ولماذا تحمّلها الإنسان دون السماوات والأرض والجبال ؟ وكيف تحملها مع كونه ظلوماً جهولاً ؟ وما فوائد حمله لها؟ الى غير ذلك من أسئلة تثيرها هذه الآية الكريمة في الأذهان.

من هنا جاءت فكرة هذا البحث, الذي يتناول هذه الآية الكريمة من ناحيتين: تحليلية ودلالات إيمانية, لمحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة.

مشكلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

_ ما العرض المقصود في الآية؟ وكيف كان؟ ومتى؟

_ ما الأمانة المقصودة في الآية؟ وما معنى حمل السماوات والأرض والجبال لها؟ وما معنى حمل الإنسان لها؟

_ ما معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال تجاه هذه الأمانة؟

_ من هو الإنسان المقصود في الآية؟ وما معنى كونه ظلوماً جهولاً؟

_ كيف تأبى السماوات والأرض والجبال عرض الرب تعالى الأمانة عليها؟

_ كيف حمل الإنسان الأمانة مع كونه ظلوماً جهولاً؟ وكيف يحاسب عليها وقد أثبتت الآية له هاتين الصفتين؟

_ ما مظاهر القدرة والرحمة الإلهيتين في هذه الآية الكرية؟

_ ما شرف العبودية وما فوائد حمل الأمانة للإنسان؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث بكونه متعلقاً بأمر مصيري لكل إنسان, وهو الأمانة التي حملها, والتي أبت السماوات والأرض والجبال حملها مع كونها أشد منه قوة, وبكونه يحاول الإجابة عن الأسئلة التي تدور في ذهن الإنسان حول ماهية هذه الأمانة؛ لمعرفة الفهم السليم لها, والتصرف الصحيح تجاهها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

_ بيان العرض المقصود في الآية, وكيف كان, ومتى.

_ بيان الأمانة المقصودة في الآية, وبيان معنى حمل السماوات والأرض والجبال لها, وبيان معنى حمل الإنسان لها.

_ بيان معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال تجاه هذه الأمانة.

_ بيان الإنسان المقصود في الآية, وبيان معنى كونه ظلوماً جهولاً.

_ بيان مظاهر القدرة والرحمة الإلهيتين في هذه الآية الكرية

_ بيان تعليل محاسبة الإنسان على حمله للأمانة

_ بيان شرف العبودية وفوائد حمل الأمانة للإنسان.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الكتب التي تحدثت عن سورة الأحزاب من الناحية التفسيرية كالتفاسير, لكن لا يوجد بحث محكم متخصص بهذه الآية من الناحيتين التحليلية والدلالات الإيمانية, فهذا البحث يركز على الدراسة التحليلية التفسيرية والعقدية المستنبطة من هذه الآية. واختيار الأرجح من الأقوال التي قليت فيها.

هيكلية البحث:
ينقسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة:
المقدمة.
المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الكريمة:
المطلب الأول: ماهية العرض وكيفيته ووقته.
المطلب الثاني: ماهية الأمانة ومعنى حمل السماوات والأرض والجبال والإنسان لها.
المطلب الثالث: معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال.
المطلب الرابع: معنى كون الإنسان ظلوماً جهولاً في الآية.
المبحث الثاني: الدلالات الإيمانية للآية الكريمة:
المطلب الأول: مظاهر القدرة والرحمة الإلهيتين في هذه الآية الكرية
المطلب الثاني: تعليل محاسبة الإنسان على حمله للأمانة
المطلب الثالث: شرف العبودية وفوائد حمل الأمانة للإنسان
الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: الدراسة التحليلية للآية الكريمة:
سنتناول في هذا المبحث بعض القضايا المتعلقة بتفسير هذه الآية, بالاعتماد على الأقوال التي قيلت في التفاسير ومحاولة الجمع بينها, واختيار الأرجح منها, مع عزو كل قول لصاحبه, بغية الوصول إلى الإجابة عن بعض الأسئلة التي تثور في الذهن عند تدبر هذه الآية الكريمة.
المطلب الأول: ماهية العرض وكيفيته ووقته:
أولا: ماهية العَرْض:
أ: العَرْض لغة:
العرض أصل يرجع إلى خلاف الطول, وعَرَض المتاعَ يعرضه عرضاً: وهو كأنه في ذاك قد أراه عرضه. وعرضتُ الحوضَ على الإبل: إذا أريتُها إياه لتَرِدَهُ فتشرب[1]. وقال ابن عاشور: (حقيقة العرض: إحضار شيء لآخر ليختاره أو يقبله منه)[2].
ب: العرض في الآية:
إن تناول مسألة العرض المذكورة في الاية الكريمة يشمل عدة أمور وهي:
الأمر الأول: من خلال التعرف إلى المعنى اللغوي الذي يصرح بإمكانية القبول أو عدمه للشيء المعروض يتبين لنا أن العرض على السماوات والأرض ابتداءً لم يكن على وجه الوجوب وإنما على وجه التخيير، وقد ذكر ابن عادل لطيفة في معنى حمل الأمانة إذ قال: (العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً, ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها... وليس إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى (إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) الحجر: 31. لأن السجود كان فرضاً)[3].
الأمر الثاني: العرض هل هو لذات السماوات والأرض أم لأهلها؟ قال الرازي: "في السموات والأرض وجهان أحدهما: أن المراد هي بأعيانها، والثاني: المراد أهلوها، ففيه إضمار تقديره: إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض[4]."
الأمر الثالث: بعد أن تبين ان هذا العرض هو على وجه التخيير لا الوجوب؛ فهل كان عرضا حقيقيا ام مجازيا على السماوات والأرض؟

---

[1] ينظر: ابن فارس, المقاييس في اللغة, ص 754, والأصفهاني, مفردات القرآن الكريم, ص 559, وابن منظور, لسان العرب, ج 7, ص 165.
[2] التحرير والتنوير: ج 22, ص 125.
[3] اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 597. بتصرف. وقد قال ذلك الآلوسي أيضاً, روح المعاني, ج 22, ص 98.
[4] مفاتيح الغيب، ج25 ص187

انقسمت آراء المفسرين رحمهم الله حول العرض في قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة) إلى قسمين اثنين:

أولهما: اعتبار العرض مجازياً تمثيلياً:

فقالوا إن العرض لم يحصل حقيقة, وإنما المقصود: إنا **لو** عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها, ولحملها الإنسان. وعدّوا العرض في الآية من قبيل المجاز, أو من قبيل الاستعارة التمثيلية. إذ شبهت حالة صرف تحميل الأمانة عن السماوات والأرض والجبال ووضعها في الإنسان, بحالة من يعرض شيئاً على أناس فيرفضه بعضهم, ويقبله واحد منهم. واستدلوا على هذا القول بانتفاء إدراك السماوات والأرض والجبال, فأنى لها أن تختار أو تأبى[5] ؟

وزاد أبو حيان: (وقال قوم: الآية من المجاز, أي: إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السماوات والأرض والجبال رأيتهما أنهما لا تطيقها, وأنها لو تكلمت لأبتها وأشفقت عنها ... وهذا كما تقول: عرضت الحمل على البعير فأباه, وأنت تريد بذلك مقارنة قوتها بثقل الحمل فرأيتها تقصر عنه)[6].

ثانيهما: اعتبار العرض حقيقياً:

اعتمد القائلون بهذا القول على روايات عن ابن عباس رضي الله عنه, فقد ذكر الطبري روايات عدة منها: عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: (إنا عرضنا الأمانة) قال: عُرِضَت على آدم, فقال: خذها بما فيها, فإن أطعتَ غفرتُ لك, وإن عصيت عذبتُك, قال: قد قبلت, فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة) [7]. وقالوا إن الله قد خلق للسماوات والأرض والجبال إدراكاً فأجبن بالإباء وأشفقن منها[8].

ولعل مما يرجح القول الثاني:

1. كون هذه الرواية صحيحة على شرط الشيخين كما ذكر الحاكم، وهي متعلقة بأمر غيبي لا اجتهاد فيه، فالأولى أخذ الرواية بعين الاعتبار.
2. أن الأصل فهم النص على ظاهره إلا إن وجدت قرينة صارفة، والظاهر هنا معقول، فما دام هذا الأمر ممكناً، ويتعلق بالقدرة الإلهية التامة فما المانع من كون العرض حقيقياً لا مجازياً؟ ولعدم وجود مانع مصرح بصرف المعنى الحقيقي للعرض في الآية إلى المجاز, فالأولى والله أعلم حملها على ظاهرها.

ثانياً: كيفية العرض:

وأما فيما يتعلق بكيفية هذا العرض المذكور في الآية, فعلى القول الأول الذي يعتبر العرض مجازاً, فليس هناك عرضٌ حقيقة, وبالتالي فلا كيفية له, إنما هو تشبيه.

وعلى القول الثاني بأن العرض حقيقي بالاعتماد على الرواية المذكورة, فقد قالوا: إن الله تعالى خلق في السماوات والأرض والجبال إدراكاً , ففهمت المقصود من ذلك العرض, وخلق لها سبحانه

---

[5] ممن اعتمد هذا القول: الزمخشري, الكشاف, ص 886, وأبو السعود, إرشاد العقل السليم, ج 7, ص 118, والبيضاوي, أنوار التنزيل وأسرار التأويل, ج 4, ص 240, والآلوسي, روح المعاني, ج 22, ص 96, وابن عاشور, التحرير والتنوير, ج 22, ص 126.

[6] البحر المحيط: ج 7, ص 243.

[7] جامع البيان , ج 19, ص 198. ورواه ابن أبي حاتم, تفسير القرآن العظيم, ج 10, ص 159, والحاكم, المستدرك على الصحيحين, ج2, ص 422. وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[8] ينظر ممن قال بهذا القول: الطبري, جامع البيان , ج 19, ص 198, والبغوي, معالم التنزيل, ج 6, ص 380, وابن عطية, المحرر الوجيز, ج 4, ص 402, وابن كثير, تفسير القرآن العظيم, ج 6, ص 488, والسيوطي, الدر المنثور في التفسير بالمأثور, ج 6, ص 668.

طريقة للتعبير عن جوابها, فأجبن بالإباء والإشفاق. (وهذا غير مستحيل, فقد سبح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم, وحن الجذع إليه , وكلمته الذراع, فيكون هذا العرض والإباء حقيقة)[9].

ثالثاً: وقت العرض:

ليس هناك وقت للعرض بناء على من رأى أن العرض مجازي, فليس ثمة عرض أصلاً, إنما هو تشبيه وتمثيل.

ولكن بالنسبة لمن رآى أن العرض حقيقي, فقد اختلفت أقوالهم في وقته, فمنهم من قال: إنه كان وقت خلق آدم عليه السلام وقبل دخوله الجنة, بالاعتماد على رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

ولكن من المعلوم أن السماوات والأرض والجبال قد خُلقت قبل آدم عليه السلام, فهل عُرضت عليها الأمانة قبل؟ أجاب عن هذا السؤال أبو حيان فقال: (عُرضت بمسمع من آدم عليه الصلاة والسلام, وأُسْمِعَ من الجمادات الإباءَ ليتحقق العرض عليه, فيتجاسر على الحمل غيره, ويظهر فضله على الخلائق)[10].

ولكن ما ذهب اليه أبو حيان يحتاج الى روايات موثقة فالأمر غيبي ولا يصح فيه التنبؤ بغير سند صحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد يصح القول بأن العرض قد تم ولا نعلم متى ولسنا مكلفين بمعرفة الوقت الذي تم فيه العرض.

المطلب الثاني: ماهية الأمانة ومعنى حمل السماوات والأرض والجبال والإنسان لها:

أولا: ماهية الأمانة:

اختلف المفسرون في الأمانة المقصودة من الآية اختلافاً كبيراً, فمنهم من عدّ الأمانة: كل ما يُؤتَمن عليه, من أمر ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا, والشرع كله أمانة؛ وذلك لأن الله تعالى لم يخص الأمانة ببعض المعاني[11] .

ومنهم من عدها: الطاعة والانقياد: فقد قال الزمخشري أن الأمانة هي الطاعة التي تصح من السماوات والأرض والجبال وتليق بها, وهي طاعة الانقياد, كما في قوله تعالى: (قالتا أتينا طائعين) فصلت: 11, وأما بالنسبة للإنسان فهي الانقياد لأوامر الله ونواهيه[12].

وقد ذكر الرازي العديد من الوجوه في معنى الأمانة فقال: "في الأمانة وجوه كثيرة؛ منهم من قال: هو التكليف وسمي أمانة لأن من قصر فيه فعليه الغرامة، ومن وفر فله الكرامة. ومنهم من قال: هو قول لا إله إلا الله _وهو بعيد_ فإن السموات والأرض والجبال بألسنتها ناطقة بأن الله واحد لا إله إلا هو، ومنهم من قال: الأعضاء فالعين أمانة ينبغي أن يحفظها والأذن كذلك واليد كذلك، والرجل والفرج واللسان، ومنهم من قال: معرفة الله بما فيها. والله أعلم".[13]

وقد ذكر ابن عاشور أن الأقوال في معنى الأمانة وصلت إلى عشرين قولاً, وذلك لأن معظمها من الأمثلة الجزئية التي تندرج تحت المعاني الكلية, فمن ذلك عهد الإيمان, أي: قول لا إله إلا الله, أو الصلوات الخمس, ومنه القول بأنها غسل الجنابة, أو الحفاظ على الفرج, وكل ذلك يعود إلى تكاليف الشرع.

وذكر ابن عاشور أيضاً من أقوالهم اعتبار الأمانة هي العقل, أو الخلافة في الأرض, وجمع بينهما بأن العقل هو مناط الخلافة في الأرض, وأن الخلافة في الأرض ينبغي أن تكون حسب شرع الله

---

[9] البحر المحيط, ج 7, ص 243. وممن قال بهذا القول : الطبري, جامع البيان , ج 19, ص 197, والبغوي, معالم التنزيل, ج 6, ص 380, وابن عطية, المحرر الوجيز, ج 4, ص 402, وابن كثير, تفسير القرآن العظيم, ج 6, ص 489,

[10] البحر المحيط, ج 7, ص 243.

[11] هذا اختيار الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 204, وممن تبعه: ابن عطية, المحرر الوجيز, ج 4, ص 402, وابو حيان, البحر المحيط, ج 7,ص 244, والآلوسي, روح المعاني, ج 22, ص 96.

[12] الكشاف, ص 866. وممن تبعه : ابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 598.

[13] مفاتيح الغيب، ج25 ص187

تعالى. ثم قال: والمتبادر من هذه المحامل أن يكون المراد بالأمانة: حقيقتها المعلومة, وهي الحفاظ على ما عُهِدَ به ورعيه والحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا فيسمى تفريطاً وإضاعة, أو عمداً فيسمى خيانة وخيساً[14].

ولعل القول الأول أشمل وأرجح في معنى الأمانة وهو : أنها كل ما يُؤتَمن عليه, من أمر ونهي وشأنِ دينٍ ودنيا, والشرع كله أمانة وذلك لأن الله تعالى لم يخص الأمانة ببعض المعاني, وكل ذلك مناطه العقل الذي كرم الله الإنسان به, قال الآلوسي: "وتخصيص شيء من الأقوال منها بالذكر إن صح لا يدل على أنه الأمانة في الآية لا غيره"[15].

ثانياً: معنى حمل السماوات والأرض والجبال الأمانة:

كما اختلفت أقوال المفسرين في معنى العرض والأمانة, كذلك اختلفت أقوالهم في معنى حمل السماوات والأرض والجبال لها. وبيان ذلك الآتي:

1. من عدّ أنه لم يكن هناك عرض للأمانة وإنما هو مجاز وتشبيه, فيرون أنه لم تحمل السماوات والأرض والجبال أية أمانة, وإنما هي تقوم بالوظائف التي خلقها الله تعالى من أجلها تسييراً لا تخييراً, فقالوا: المعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام ـ التي هي مَثَلٌ في القوة والشدة ـ مراعاتها, وكانت ذات شعور لأَبَيْن قبولها [16].
2. وأما من عدّ العرض حقيقةً, فاختلفوا أيضا:

أ. فمنهم من قال: إن الله عرض طاعته وفرائضه عليها, فإن أحسنت أثيبت وأجيزت, وإن ضيعت عوقبت [17].

ب. ومنهم من قال: المقصود من حملها للأمانة هو الانقياد الذي يصح منها, قال الرازي: "التكليف الذي وجهه الله إلى الإنسان, وهذا النوع من التكليف ليس في السماوات والأرض والجبال, لأنها على ما خلقت عليه, فالجبل لا يطلب منه السير, والأرض لا يطلب منها الصعود, ولا من السماء الهبوط"[18].

ونحن يترجح لدينا قول الرازي, وهو اعتبار أن المقصود من حملهن للأمانة هو الانقياد الذي يصح منهن, فتؤدي السماوات والأرض والجبال الدور الذي خلقها الله تعالى من أجله بالفطرة التي فطرها الله عليها, أي بالتسيير. وسيأتي إن شاء الله زيادة بيان لهذا عند الحديث عن معنى الإباء.

ثالثاً: معنى حمل الإنسان الأمانة:

أ: من هو الإنسان المقصود في الآية؟

قبل الحديث عن معنى حمل الإنسان للأمانة, لا بد أن نذكر أقوال المفسرين في الإنسان المقصود من الآية, فمنهم من قال: هو آدم عليه السلام, بالاعتماد على الرواية المذكورة[19], ومنهم من قال: المراد جنس الإنسان[20], ومنهم من قال: هو الإنسان الكافر[21], أخذاً من الآية التي تليها: (ليعذب الله

---

[14] التحرير والتنوير, ج 22, ص 126.

[15] روح المعاني, ج 22, ص 97.

[16] ممن اعتمد هذا القول: الزمخشري, الكشاف, ص 866, وأبو السعود, إرشاد العقل السليم, ج 7, ص 118, والبيضاوي, أنوار التنزيل وأسرار التأويل, ج 4, ص 240, والآلوسي, روح المعاني, ج 22, ص 97, وابن عاشور, التحرير والتنوير, ج 22, ص 129.

[17] ينظر: الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 198, وممن تبعه: ابن عطية, المحرر الوجيز, ج 4, ص 402, وأبو حيان, البحر المحيط, ج 7, ص 243, وابن كثير, تفسير القرآن العظيم, ج 6, ص 488.

[18] مفاتيح الغيب, ج 25, ص 235, وممن اعتمد هذا المعنى من المفسرين: الزمخشري, الكشاف, ص 866, وابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 598.

[19] ينظر ص: من هذا البحث, وينظر ممن ذكر هذا القول: الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 197, وأبو حيان, البحر المحيط, ج 7, ص 243, وابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 596.

[20] ممن ذكره من المفسرين: الآلوسي, روح المعاني, ج 22, ص 98, وابن عاشور, التحرير والتنوير, ج 22, ص 128.

المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) الأحزاب: 73. وهو قول بعيد, إذ كيف تنحصر الأمانة في الكافر دون المؤمن؟ فمعلوم أن المؤمن مسؤول عن أمانته وتقصيره فيها وسيحاسب على ذلك.

ولعل الأرجح أن المقصود هو القول الثاني, أي: جنس الإنسان, فلا معنى من أن يكون أبونا آدم عليه السلام وحده هو المقصود, دون أن يتعرض بنوه للمُساءلة. والرواية التي ذكرت أن الأمانة عرضت عليه لا يفهم منها حصرها فيه فقط, وإنما عرضت عليه لكونه أبا البشر, وذريته ستتحمل الأمانة من بعده. وأما القول الثالث فقد تبين ضعفه وبعده.

ب: معنى حمل الإنسان الأمانة:

أما الذين عدوا العرض مجازاً وأنه لم يحصل حقيقة, فقد قالوا: المعنى: إن السماوات والأرض والجبال أبين إلا أن يؤدينها بالتسيير الذي خلقها الله عليه, فتؤدي المطلوب منها, وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها, وذلك من قولك: فلان حامل للأمانة ومحتمل لها, تريد أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدها, لأن الأمانة راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها[22].

بينما هناك من المفسرين من اعتمد على الرواية التي رواها الطبري وغيره, والتي تفيد أن الله تعالى عرض الأمانة على آدم عليه السلام, فقبلها بما فيها, وعليه فيكون حمل الأمانة بالتلفظ بصيغة القبول من أبينا آدم عليه السلام جواباً لعرض ربنا تعالى الأمانة عليه. ولكنا بينا في النقطة السابقة أنه لا يحتمل أن يكون آدم عليه السلام فقط هو المقصود, وإنما جنس الإنسان, فيكون هو أول من حمل الأمانة, على أن يبقى حملها في أعناق ذريته إلى يوم القيامة, على النحو الذي تبين في معنى الأمانة[23].

قال الرازي: (الأشياء نظرن إلى أنفسهن فرأين ضعفهن فامتنعن, والإنسان نظر إلى جانب المُكَلِّف, وقال: المودِعُ عالم قادر لا يعرض الأمانة إلا على أهلها, وإذا أَوْدَعَ لا يتركها, بل يحفظها بعينه وعونه, فقبلها)[24].

وهناك من المفسرين من ذكر معنى غريباً لحمل الإنسان الأمانة, فقالوا: وحملها الإنسان: خان فيها, ويقال: فلان حمل الأمانة: أي أثم فيها بالخيانة. أو كما تقول: احتمل فلان الحِمْل: أي ذهب به[25]. ولا يخفى بُعْد هذا التفسير, وإذا قبلناه فسيلحق الإثم بكل ذرية آدم عليه السلام وسيحاسبون على خيانتهم.

ويترجح لدينا أن معنى حمل الإنسان الأمانة إنما هو قبولها باللفظ من أبينا آدم عليه السلام, وأنها في عنقه وفي أعناق ذريته إلى يوم القيامة, وأنهم سيحاسبون عليها, فمن أداها وقام بما هو مطلوب منه أثيب, ومن عصى فلم يؤدها عوقب, وذلك بسبب الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المطلب الثالث: معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال:

أولاً: الإباء والإشفاق لغة:

أ: الإباء لغة: ذكر ابن فارس أن الإباء مشتق من الجذر: أَبَيَ, والهمزة والباء والياء جذر يدل على الامتناع, أبيت الشيء آباه, إذا امتنعت عنه, والإباء: أن تعرض على الرجل الشيء فيأبى قبوله [26], وقال الأصفهاني: (الإباء: شدة الامتناع, فكل إباء امتناع, وليس كل امتناع إباءً)[27].

---

[21] ممن ذكره من المفسرين: ابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 598, وابن عاشور, التحرير والتنوير, ج 22, ص 130.

[22] ينظر: الزمخشري, الكشاف, ص 866.

[23] ينظر: الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 197, والبغوي, معالم التنزيل, ج 6, ص 380, وابن عطية, المحرر الوجيز, ج 4, ص 402, وابن كثير, تفسير القرآن العظيم, ج 6, ص 488.

[24] مفاتيح الغيب, ج 25, ص 236.

[25] ينظر: أبو حيان, البحر المحيط, ج 7, ص 244, وابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15,ص 598.

[26] المقاييس في اللغة, ص 54. وينظر: لسان العرب, ج 14, ص 3.

ب: الإشفاق لغة: مشتق من شفق: والشين والفاء والقاف أصل واحد يدل على رقة في الشيء, ثم يشتق منه, فمن ذلك: أشفقت من الأمر: إذا رققت وحاذرت[28]. وزاد الأصفهاني: (الإشفاق: عناية مختلطة بخوف, لأن المُشْفِقَ يحب المُشْفَقَ عليه ويخاف ما يلحقه, قال تعالى: (وهم من الساعة مشفقون) الأنبياء: 49, فإذا عُدِّي بـ (مِن) فمعنى الخوف فيه أظهر, وإذا عدي بـ (في) فالعناية فيه أظهر)[29].

فخلاصة معنى الإباء: الامتناع الشديد, وخلاصة معنى الإشفاق من الشيء: الخوف الشديد منه.

ثانيا: معنى الإباء والإشفاق من السماوات والأرض والجبال في الآية:

أ: باعتبار أن العرض مجازي, عدّ القائلون بذلك أن الإباء والإشفاق مجاز أيضاً, قال أبو حيان: (وقال قوم: الآية من المجاز, أي: إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السماوات والأرض والجبال رأيتهما أنهما لا تطيقها, وأنها لو تكلم لأبتها وأشفقت منها)[30].

ب: وباعتبار أن عرض الأمانة حقيقي, فقد عدّ القائلون بذلك أن الإباء والإشفاق كان حقيقيا, وذلك على قولين:

الأول: انه إباء حقيقي لحمل الأمانة بعدم قبول حملها، لكنه ليس إباء عصيان وتمرد، إذ هناك فرقان بين إباء السماوات والأرض وإباء إبليس كما بين الرازي اذ قال: "قوله: {فأبين أن يحملنها} لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: {أبى أن يكون مع الساجدين} [الحجر: 31] من وجهين أحدهما: أن هناك السجود كان فرضاً، وهاهنا الأمانة كانت عرضاً، وثانيهما: أن الإباء كان هناك استكباراً وهاهنا استصغاراً استصغرن أنفسهن، بدليل قوله: وأشفقن منها"[31]

الثاني: أنه إباء حقيقي لكن على معنى أنهن أبين **إلا** أن يحملنها تسييرا لا تخييرا، أي أن السماوات والأرض والجبال قد نطقن بطريقة خلقها الله تعالى فيهن, وأنهن اتفقن جميعاً على أن يكنَّ كما خلقهن الله مسخرات لأمره, وأن لا تكون لهن حرية الاختيار بعد هذا العرض. فهن يقمن فقط بالوظائف التي خلقهن الله من أجلها دون ثواب أو عقاب.

ومما يرجح القول الأخير ما جاء في سورة فصلت, وهو قوله تعالى: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فصلت: 11, فقد اجتمعت دلالة آية الأحزاب وآية فصلت على أن السماوات والأرض والجبال فضلن التسيير على التخيير, فيقمن بما هو مطلوب منهن دون عقاب أو ثواب. وأن ذلك حصل منهن بالنطق بطريقة يعلمها الله.

المطلب الرابع: معنى كون الإنسان ظلوماً جهولاً في الآية:

أولا: الظلم والجهل لغة:

أ: الظلم لغة: قال ابن فارس: (الظاء واللام والميم أصلان صحيحان, أحدهما خلاف الضياء والنور, والثاني وضع الشيء غير موضعه تعدياً ... ألا تراهم يقولون: من أشبه أباه فما ظلم. أي ما وضع الشبه غير موضعه)[32].

ب: والجهل لغة: قال ابن فارس: (الجيم والهاء واللام أصلان: أحدهما خلاف العلم, والآخر الخفة وخلاف الطمأنينة)[33], وقد ذكر الأصفهاني الأصل الأول الذي ذكره ابن فارس وزاد عليه: (الثاني:

---

[27] مفردات ألفاظ القرآن, ص 58.

[28] ينظر: ابن فارس, المقاييس في اللغة, ص 530.

[29] مفردات ألفاظ القرآن, 458.

[30] البحر المحيط, ج 7, ص 244. وقد ذكرنا عند الحديث عن العرض بعض المفسرين الذين ذكروا هذا القول.

[31] مفاتيح الغيب، ج 25، ص187

[32] المقاييس, ص 641. ووافقه ابن منظور, لسان العرب, ج 12, ص 373. وزاد الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن: (الظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بزيادة أو نقصان, وإما بعدول عن وقته أو مكانه). ص537.

[33] المقاييس, ص 228.

اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه, والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يُفعل, سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً .. والجاهل يذكر مرة على سبيل الذم, وهو الأكثر, وتارة لا على سبيل الذم نحو: (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) البقرة: 273)[34].

فخلاصة المعنى اللغوي للظلم المقصود في الآية: جعل الشيء في غير موضعه تعدياً, وخلاصة المعنى اللغوي للجهل المقصود في الآية: خلاف العلم, واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه, وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل.

ثانياً: معنى كون الإنسان ظلوماً جهولا في الآية:

ذكرنا عند الحديث عن الإنسان المقصود من الآية أن هناك قولين معتبرين: أحدهما أنه آدم عليه السلام, والثاني أن المراد جنس الإنسان. وسنعرض خلاصة معنى كون الإنسان ظلوما جهولاً وفق هذين القولين:

أ: على اعتبار أن المقصود آدم عليه السلام: فيكون معنى (ظلوماً) أي لنفسه, إذ ظلم نفسه بالمخالفة حين أكل من الشجرة ومعنى (جهولاً) إذ لم يعلم ما يعاقب عليه من الإخراج من الجنة. وقد اعتمد القائلون بهذا القول على الرواية سابقة الذكر[35]. ولكننا قد بينا أنه لا ينبغي حصر المعنى في أبينا آدم عليه السلام, إذ لا يجوز أن تكون ذريته معفيةً من الأمانة, وأنه تحملها لوحده.

ب: على اعتبار أن المقصود جنس الإنسان: فيكون معنى (ظلوماً) أي مفرطاً في الظلم, ومعنى (جهولاً) أي مبالغاً في الجهل, فالمراد على اربعة أقوال:

الأول: الإنسان يظلم بالعصيان ويجهل ما عليه من العقاب، وينقسم جنس الإنسان إلى فريقين: فريق ظلوم جهول لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة, وفريق آخر لم يبدلوا فطرة الله تبديلا[36].

الثاني: إنه كان ظلوما جهولا، أي كان من شأنه الظلم والجهل، يقال فرس شموس ودابة جموح وماء طهور أي من شأنه ذلك، فكذلك الإنسان من شأنه الظلم والجهل فلما أودع الأمانة بقي بعضهم على ما كان عليه وبعضهم ترك الظلم كما قال تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [الأنعام: 82][37]

الثالث: أن أغلب الناس ظالمة جهولة، كما قال أبو السعود مشيرا أيضا لمعنى (كان): (هذا إيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله, أنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل, أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة, دون مَن عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلاً)[38]. وزاد الآلوسي بعدما ذكر قول أبي السعود: (وصف الجنس بصيغتي المبالغة لكثرة الأفراد المتصفة بالظلم والجهل منه ... بل لا يخلو فرد من الأفراد من الاتصاف بظلمٍ ما أو جهلٍ ما)[39].

أي إن معنى كون الإنسان ظلوماً جهولاً أن الغالب على أفراد جنسه عدم القيام بما تقتضيه الأمانة من القيام بما أمر الله به من شأن الدين والدنيا, فهم بذلك ظالمون لأنفسهم, وجاهلون بما عرضوها له من العذاب. وأن القلة هم المؤمنون الذين يقع منهم الظلم والجهل أحياناً في شؤون الدين والدنيا, ولكنهم يبادرون إلى التوبة والاستغفار والرجوع إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها. وهذا المعنى

---

[34] مفردات ألفاظ القرآن, ص 209. بتصرف.

[35] ينظر ص: من هذا البحث, وممن قال بذلك: الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 197, وأبو حيان, البحر المحيط, ج7, ص 244, وابن عادل, اللباب في علوم الكتاب, ج 15, ص 597.

[36] ممن اعتمده من المفسرين: أبو السعود, إرشاد العقل السليم, ج 7,ص 118, والآلوسي, روح المعاني, ج 22, ص 99, وقد ذكره الرازي أيضاً, مفاتيح الغيب, ج 25, ص 236.

[37] مفاتيح الغيب، ج 25، 188

[38] إرشاد العقل السليم, ج 7, ص 118.

[39] روح المعاني, ج 22, ص 100. بتصرف.

الذي أكدته الآية الأخيرة من سورة الأحزاب: (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)[40]. والله أعلم
الرابع: "إنه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها [البقرة: 30] وبين علمه عندهم حيث قال تعالى: أنبئوني بأسماء هؤلاء [البقرة: 31]" [41]

المبحث الثاني: الدلالات الإيمانية للآية الكريمة

المطلب الأول: مظاهر القدرة والرحمة الإلهيتين في هذه الآية الكرية

تجمع هذه الآية الكريمة بين بيان القدرة الإلهية التي ملكت الكون وأنطقت الكائنات، وبين الرحمة الإلهية التي أعانت الإنسان على حمل الأمانة لكونه جهولاً ظلوماً.
فأما القدرة الإلهية فبحسب الرواية المذكورة في نطق السماوات والأرض تؤكد الآية قدرة الله تعالى على إفهام الجمادات وجعلها تدرك وتنطق، وقد حصل نحو ذلك كتسبيح الحصى بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم لجبل أحد كما روي في صحيح البخاري أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعُثْمَانُ فَرَجَفَ بهِمْ، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ فإنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وصِدِّيقٌ، وشَهِيدَانِ][42].
وأما الرحمة فتظهر في إعانة الله تعالى الانسان على حمل الأمانة وتأديتها فقد حملها "الإنسان مع ضعفه الذي قال الله تعالى فيه: وخلق الإنسان ضعيفا [النساء: 28] ولكن وعده بالإعانة على حفظ الأمانة بقوله: ومن يتوكل على الله فهو حسبه"[43]
قال الرازي: "أن الأشياء نظرت إلى أنفسهن فرأين ضعفهن فامتنعن، والإنسان نظر إلى جانب المكلف، وقال المودع عالم قادر لا يعرض الأمانة إلا على أهلها وإذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها، وقال: إياك نعبد وإياك نستعين [الفاتحة: 5]" [44].
فمن رحمة الله تعالى أن أعان الانسان على حمل الأمانة وتأديتها بشرط أن يستعين به الانسان، أما إن استغنى عن ربه_والعياذ بالله_ فيكون قد ضيع الأمانة وأهلك نفسه.

المطلب الثاني: تعليل محاسبة الإنسان على حمله للأمانة

يرد هنا سؤال: اذا كان حمل الأمانة مقروناً برحمة الله تعالى بأن وعد أن يعين الانسان على ذلك، فالذي يعينه الله تعالى كيف يعذب؟ اذ هناك مَن كفر! فلم يعذب الكافر؟
والرد: إن الله تعالى قال: " «أنا أعين من يستعين بي ويتوكل علي» والكافر لم يرجع إلى الله تعالى فتركه مع نفسه فيبقى في عهدة الأمانة"[45]
وإن من حمل الأمانة فإنه يحظى بالأجر، فإن: "قوله تعالى: {فأبين أن يحملنها} وقوله تعالى: {وحملها الإنسان} إشارة إلى أن فيه مشقة، بخلاف ما لو قال (فأبين أن يقبلنها وقبلها الإنسان)، ومن قال لغيره: افعل هذا الفعل، فإن لم يكن في الفعل تعب يقابل بأجرة فإذا فعله لا يستحق أجرة، فقال تعالى: {وحملها} إشارة إلى أنه مما يستحق الأجر عليه؛ أي على مجرد حمل الأمانة، وإما على رعايتها حق الرعاية فيستحق الزيادة فإن قيل فالكل حملوها، غاية ما في الباب أن الكافر لم يأت بشيء زائد على الحمل فينبغي أن يستحق الأجر على الحمل؟ فنقول: الفعل إذا كان على وفق الإذن من المالك الآمر يستحق الفاعل الأجرة، ألا ترى أنه لو قال احمل هذا إلى الضيعة التي على

---

[40] ممن ذكر هذه العلاقة بين الآيتين: الطبري, جامع البيان, ج 19, ص 205, والرازي, مفاتيح الغيب, ج 25, ص 238, وابن عاشور, التحرير والتنوير, ج 22, ص 131, والشعراوي, خواطر الشعراوي, ج 21, ص.
[41] مفاتيح الغيب، ج25، ص188.
[42] اخرجه البخاري ، صحيح البخاري، حديث رقم 3675.
[43] مفاتيح الغيب، ج 25، ص188-189
[44] مفاتيح الغيب، ج 25، ص188
[45] مفاتيح الغيب، ج 25، ص 189.

الشمال فحمل ونقلها إلى الضيعة التي على الجنوب لا يستحق الأجرة ويلزمه ردها إلى الموضع الذي كان فيه؟ كذلك الكافر حملها على غير وجه الإذن فغرم وزالت حسناته التي عملها بسببه"[46]
اذن لا ظلم في حمل الإنسان للأمانة ومحاسبته عليها؛ إذ إن الحمل نفسه مأجور عليه الإنسان إذا حمله على وجه الأمر، فإذا ما أداه بحقه ورعاه حق رعايته بعد ذلك فله زيادة أجر عند الله تعالى، وإذا لم يحمل على الوجه المأمور به فلا أجر له.

المطلب الثالث: شرف العبودية وفوائد حمل الأمانة للإنسان

إن العبادة محبوبة للعبد لما تحققه له من كمال في الحال والاستقبال، وهي محبوبة لأنها أمانة بدليل قوله تعالى: {إِنَّاعَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَأَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَظَلُوماً جَهُولاً} [الأحزاب: 72]، فالعبادة أمانة وأداء الأمانة واجب عقلاً وشرعاً، بدليل قوله: {إِنَّاللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...} [النساء: 58] وأداء الأمانة صفة من صفات الكمال محبوبة بالذات[47].

ويمكننا تقسيم الفوائد التي ينالها العبد من حمله للأمانة وتحققه بالعبودية إلى أقسام[48]:

أولا: فوائد دنيوية، ينالها العبد في دنياه قبل آخرته، وهي قسمان:

1. فوائد مادية محسوسة:

وتظهر فيما ينتفع به العبد بعد قيامه بالتكاليف سواء الائتمار بالأوامر أو الانتهاء عن النواهي، فإن الجسد يحتاج إلى القيام بعبادات تزوده بالصحة والعافية وتهذب من سلوكه وتقوّم من عاداته وأفعاله، فعلى سبيل المثال فإن الصلاة بما تشمل من حركات فيها صحة للبدن وتهذيب لسلوك العبد بنهيه عن الفواحش والمنكرات، قال تعالى: {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} [العنكبوت: 45]، والصيام صحة للبدن وتهذيب لأخلاق الإنسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه] [(49)] فالقيام بالعبادات يفيد العبد في حياته الدنيا، وهي ليست فوائد فردية بل فوائدها جماعية تشمل جميع المجتمع المؤمن العابد لربه، إذ قيام الناس بها يؤدي إلى شيوع الأخلاق الحميدة، فلا عدوان ولا نفاق ولا أذى، بل إحسان وصدق وخير وتخلق بالفضائل وترك للرذائل.

2. فوائد معنوية:

تتجلى الفوائد المعنوية للعبودية بالشعور الداخلي بالشرف والعزة والكرامة، فلا يعبد الإنسان شمساً ولا قمراً ولا أي مخلوق لله تعالى، بل يعبد خالق كل شيء، ومن الفوائد المعنوية تكميل الإنسان نفسه، والكمال محبوب لذاته، ولا كمال للإنسان إلا بقيامه بالوظيفة التي خلق لأجلها وهي التحقق بالعبودية لله وحده لا شريك له، وفيها الاقتداء بخير الناس جميعا وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين لم يستكبروا عن عبادته بل كانوا يتشرفون ويتلذذون بعبادة الله تعالى وحده، ومن فوائد العبودية أيضا إدراك العبد لحقيقة الحياة وأنها زائلة وأن الآخرة هي الحياة الحقيقة فكلما أدى الصلاة ووقف بين يدي الله تعالى أيقن أنه لله وأنه راجع إليه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فبذلك يتخلص المؤمن من أمراض القلوب من عجب وكبر وغرور، ويتخلص كذلك من الشعور بالقلق أو الخوف، فمعرفته لغايته من الوجود يخلصه من منغصات القلوب فلا يكون إلا راضيا مطمئنا قال تعالى: { ألا بذكر الله تطمئن القولب} [الرعد:28].

ثانيا: فوائد أخروية:

إن للعبادة فوائد جمة يرجوها العبد عند الله تعالى، فقيامه بالتكاليف (ائتماراً بالأوامر وانتهاءً عن النواهي) يثمر له رضى الله تعالى عنه، فإذا رضي عنه أرضاه، وأدخله جنة عرضها السماوات

---

[46] مفاتيح الغيب، ج 25، ص 189.
[47] انظر: مفاتيح الغيب، ج1، ص 252- 253.
[48] مجلة النجاح، بحث" حقيقة التعبُّد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة" ص10-11.
[49] أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 1903.

والأرض أعدها سبحانه للمتقين، فالعابد منتفع بعبادته نفعا أبديا إن هو أخلص لله تعالى والتزم شريعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وغلبت حسناته على سيئاته.
وبذلك يتشرف الإنسان بتحققه بالعبودية لله تعالى وحده، فليس عبدا للدينار ولا للدرهم ولا لهوى نفسه، بل هو عبد لله تعالى وحده لا شريك له، فتثمر له هذه العبادة منافع دنيوية مادية ومعنوية فردية وجماعية، كما تثمر له رضى المولى عز وجل وخلودا في جنة عرضها السماوات والأرض بفضل الله تعالى وكرمه كل ذلك إن أدى حمله للأمانة على خير وجه.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

نحمد الله رب العالمين الذي أعان على إتمام هذا البحث, والذي خلص إلى نتائج عدة, أهمها الآتي:
- أن عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال كان عرضاً حقيقياً وليس على سبيل المجاز, وأنه كان على سبيل التخيير وليس الإلزام.
- وأن العرض قد تم حقيقة ولا نعلم متى كان, ولسنا مكلفين بمعرفة الوقت الذي تم فيه, إذ لا توجد روايات صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن.
- وأن الأرجح في معنى الأمانة: كل ما يؤتمن عليه من أمرٍ ونهيٍ في شأنٍ دين أو دنيا, فالشرع كله أمانة.
- وأن معنى حمل السماوات والأرض والجبال للأمانة: الانقياد الذي يصح منهن, فيؤدين الدور الذي خلقهن الله تعالى من أجله بالفطرة التي فطرهن الله عليها.
- وأن المقصود من الإنسان في الآية: جنس الإنسان, بدءاً من أبينا آدم عليه السلام, ثم ذريته من بعده, وأن أبانا آدم عليه السلام قد حمل الأمانة باللفظ, وهي في عنقه وأعناق ذريته وسيحاسبون عليها.
- وأن الأرجح في معنى إشفاق السماوات والأرض والجبال من حمل الأمانة: أنهن أبين إلا أن يحملنها تسييراً لا تخييراً, وقد نطقن بذلك بطريقة خلقها الله فيهن, مما يتفق مع قوله تعالى على لسانهن في سورة فصلت: (قالتا آتينا طائعين) [فصلت: 6].
- وأن معنى كون الإنسان ظلوماً جهولاً بالنسبة لأبينا آدم عليه السلام: أنه ظلم نفسه حين أكل من الشجرة, وجهل ما يعاقب عليه من الإخراج من الجنة.
- وبالنسبة لذريته: أن الغالب على أفرادهم عدم القيام بما تقتضيه الأمانة من شأن دين ودنيا, فهم بذلك ظالمون لأنفسهم, وجاهلون بما عرضوها له من العذاب, وأن القلة منهم وهم المؤمنون الذين يقع منهم الظلم والجهل أحياناً, ولكنهم يبادرون إلى التوبة والاستغفار.
- وأن الآية جمعت بين بيان القدرة الإلهية حين أفهمَ اللهُ الجمادات وأنطقهن, وبيان الرحمة الإلهية حين أعان الإنسانَ على حمل الأمانة طالما استعان الإنسان به, وأن الأجر يكون للإنسان إذا حمل الأمانة على الوجه المطلوب, وإذا لم يحملها على الوجه المطلوب فلا أجر له.
- وأن حمل الأمانة على الوجه المطلوب يعود على العبد والمجتمع بفوائد مادية ومعنوية, كشيوع الأخلاق الحميدة والإحسان, والشعور بالعزة والشرف والكرامة, ونيل رضى الله في الدنيا والآخرة.

المصادر والمراجع:

الأصفهاني, الحسين بن محمد, مفردات ألفاظ القرآن , دار القلم, دمشق, 2002.
الآلوسي, روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, دار إحياء التراث العربي, بيروت. ب ت.
البغوي, الحسين بن مسعود, معالم التنزيل, دار طيبة, الرياض, ط1, 1989.
البيضاوي, عبد الله بن عمر, أنوار التنزيل وأسرار التأويل, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ب ت.

الحاكم, محمد بن عبد الله, المستدرك على الصحيحين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط 1, 1990.
أبو حيان, محمد بن يوسف, البحر المحيط, دار الكتب العلمية, بيروت, ط 1. 1993.
خرمه، مروه محمود، مجلة النجاح، بحث" حقيقة التعبُّد وآراء العلماء في الحكم على مراتب العبادة" مجلد 34 للعام 2020م.
الرازي, محمد بن عمر, مفاتيح الغيب, دار الفكر, بيروت, ط1, 1981.
الزمخشري, محمود بن عمر, الكشاف, دار المعرفة, بيروت, 2009.
أبو السعود, محمد بن محمد, إرشاد العقل السليم, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ب ت.
السيوطي, عبد الرحمن بن أبي بكر, الدر المنثور في التفسير بالمأثور, دار الفكر, بيروت, 2011.
الشعراوي, محمد متولي, خواطر الشيخ الشعراوي, دار أخبار اليوم, القاهرة, ط1, 1991.
الطبري, محمد بن جرير, جامع البيان عن تأويل آي القرآن, دار هجر, الرياض, ط 1, 2001.
ابن عادل, عمر بن علي, اللباب في علوم الكتاب, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1989.
ابن عاشور, محمد الطاهر, التحرير والتنوير, الدار التونسية, تونس, ط 1, 1984.
ابن عطية, عبد الحق بن غالب, المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2001.
ابن كثير, إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم, دار طيبة, الرياض, ط2, 1999.
ابن منظور, محمد بن مكرم, لسان العرب, دار صادر, بيروت, ط 2, ب ت.

References:

Al'asfhani, Al-Hussain Bin Muhammad, “Vocabulary of the Words of the Qur’an”, dar al qalam, Damascus, 2002.

Al-Alusi, The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur’an and the Mathani Seven, dar ihyaa al torath al arabi, Beirut.

Al-Baghawi, Al-Hussein Bin Masoud, maalim al tanzyl, Dar Taibah, Riyadh, 1st e, 1989.

Al-Baydawi, Abdullah bin Omar, “The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation”, Dar Ihya al-turath al-arabi, Beirut, 1997.

Al-Hakim, Muhammad Bin Abdullah, Al-Mustadrak Ali Al-Sahihain, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st E, 1990.

Abu Hayan, Muhammad bin Yusef, “The Surrounding Sea”, dar al kutub al ilmiyah, Beirut, 2010.

Khorma, Marwa Mahmoud, An-Najah Magazine, Research “The Truth of Devotion and Scholars' Opinions on Judging the Ranks of Worship,” Volume 34 of the year 2020.

Al-Razi, Muhammad ibn Umar, “Keys to the Unknown”, Dar Ihya al-turath al-arabi, Beirut, 1999.

Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr, “the Revealer”, Abbasid Press, Cairo, 1992.

Abu Alsueud, Muhammad bin Muhammad ,“guiding the sound mind to the merits of the Holy Book”, Dar Ihya al-turath al-arabi, Beirut.
Al-Suyuti, Abd al-Rahman bin Abi Bakr, Durr al-Manthur fi Tafsir bilmathor, Dar al-Fikr, Beirut, 2011.

Al-Shaarawi, Muhammad Metwally, Thoughts of Sheikh Al-Shaarawi, Dar Akhbar Al-Youm, Cairo, 1st E, 1991.

Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir, “Collection of statements on interpretation of verses of the Qur'an”, Hajar Publishing house, Cairo, 2001.

Ibn Adel, Omar bin Ali, “the core of Book science”, dar al kutub al ilmiyah, Beirut, 1998.

Ibn Ashour, Muhammad al-Taher, Tahrir wa al tanwir, Tunisian House, Tunis, 1st E, 1984.

Ibn Atiyyah, Abdul haq ibn ghalib, “The brief editor in the interpretation of the dear book”, dar al kutub al ilmiyah, Beirut, 2001.

Ibn Kathir, Ismail bin Omar, Interpretation of the Great Qur’an, Dar Taibah, Riyadh, 2nd E, 1999.

Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram, Lisan Al-Arab, Dar sader, Beirut, second edition.